

المكتبة الخضراء للأطفال

٤٩

الطالبة المسحورة



رسم

ماهر عبد القادر



دار المعارف

بقلم

عبد التواب يوسف

المكتبة الخضراء للأطفال

٤٩

الطيلة المسحورة



الطبعة الثالثة

رسوم
ماهر عبد القادر



بقلم
عبد التواب يوسف

قَدِمَتِ المَكْتَبَةُ العَرَبِيَّةُ عَدِيدًا مِنَ الأَسَاطِيرِ وَالحِكَايَاتِ الشَّعْبِيَّةِ ،
لَكِنِّهَا لَمْ تُقَدِّمِ شَيْئًا مِنْ قَارَتِنَا العِذْرَاءِ السَّمْرَاءِ : إِفْرِيْقِيَا .. الَّتِي سَرَقَ
الاسْتَعْمَارُ الكَثِيرَ مِنْ خَيْرَاتِهَا ، وَمِنْ بَيْنِ ذَلِكَ حِكَايَاتُهَا الشَّعْبِيَّةِ
الرَّائِعَةِ ، وَيَقُولُ الْمُسْتَشْرِقُ ”بِيرْتُون“ : إِنْ أَوْرِبَا أَخَذَتِ مِنْ إِفْرِيْقِيَا
رَبْعَ مَلْيُونِ حِكَايَةٍ .. تَرَجَمَتَهَا إِلَى لُغَاتِهَا ، بَيْنَمَا لَا تَعْرِفُ غَيْنِيَا
حِكَايَاتِ غَانَا ، وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ .. وَلَقَدْ تَرَكَ الاسْتَعْمَارُ قَارَتِنَا فِي
حَالَةٍ فَقْرٍ شَدِيدٍ ، وَأَصْبَحَتْ تَصِلُ إِلَيْنَا أَخْبَارُ الْمَجَاعَاتِ فِيهَا ، وَرَبْمَا
تَسْأَلُونَ : لِمَاذَا لَمْ تَكُنْ تَحْدُثُ أَيَّامَ الاسْتَعْمَارِ ؟ .. الْحَقِيقَةُ أَنَّهَا كَانَتْ
أَكْثَرَ مِمَّا هِيَ الْآنَ ، لَكِنْ أَوْرِبَا كَانَتْ تَخْفَى عَنِ الْعَالَمِ أَخْبَارَهَا
وَتَحْجِبُهَا عَنْهَا .. وَيُسْرِنَا أَنْ نُقَدِّمَ لَكُمْ هَذِهِ الْقِصَّةَ الْإِفْرِيْقِيَّةَ الْجَمِيلَةَ
لِلْكَاتِبِ الشَّهِيرِ ”شَيْنُوَا اتشيب“ .

— ١ —

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، كَانَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي دُنْيَانَا تَعِيشُ وَكَأَنَّمَا
هِيَ فِي سَفِينَةِ نُوحٍ .. فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ اَزْدَحَمَتْ
بِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُتَقَاتِلَةِ لَيْلَ نَهَارٍ ، لَكِنِّهَا كَانَتْ تَعِيشُ فِي أَمَانٍ وَسَلَامٍ ،
وَكَأَنَّمَا عَائِلَةٌ وَاحِدَةٌ .. كَانَ هُنَاكَ سُلْحُفٌ وَاحِدٌ اسْمُهُ (اِمْبِي) - وَهُوَ
الْجَدُّ الْأَكْبَرُ لِكُلِّ السَّلَاحِفِ الْمَوْجُودَةِ الْآنَ فِي عَالَمِنَا - وَكَانَ يَعِيشُ
مَعَ زَوْجَتِهِ ”آنُوم“ .. كَمَا كَانَ هُنَاكَ الطَّائِرُ ”أَنُونُو“ الَّذِي هُوَ أَيْضًا
الْجَدُّ الْأَوَّلُ لِجَمِيعِ الطُّيُورِ ، وَأَيْضًا كَانَ هُنَاكَ كَبَشٌ وَحِيدٌ هُوَ ”اَيِبُونُو“

وزوجته النعجة "أتولدو" .. والفيل "اينواي" والفهد "أجو" والأسد
"أودوم" بجانب عدد آخر من الحيوانات، التي عاشت عمراً طويلاً
ومديداً وسعيداً، إذ توفّر لها - دائماً - ما تأكله مما تنتجه الأرض:
الرياح تهب، والمطر يسقط، والنبات ينمو بكثرة، والمحاصيل تكفي
الجميع ..

ومع مرور السنين تغير الجو ..

بدأت الأمطار تقل، وزحف الجفاف، وراحت الشمس تطل من
السماء دون أن تحجبها السحب، وإذا بالطعام يقل .. بل ويصبح نادراً
في تلك البقعة من الأرض الإفريقية السمراء .. وعاماً بعد عام راحت
الأنهار تتوقف عن الجريان، وجفت مياه الجداول، لذلك أطل شبح
الجوع الكافر على الجميع .. وبعد أن كانت الحيوانات تحصل على
وجباتها الشهية على مدى اليوم، لم تعد تجد لنفسها وجبة واحدة ..
وكان الأمل أن يعود الحال على ما كان عليه، ولكن ذلك لم يحدث،
بل ازدادت الأمور سوءاً، وأصبح محظوظاً من يعثر على وجبة واحدة
كل ثلاثة أيام ..

وعَمَّ الحزن ..

وذات يوم، انطلق السلحف من بيته في الصباح الباكر بحثاً عن
فاكهة بريّة، أو ثمار عشوائية ولم يعثر على شيء منها إلى أن حلت
الظهيرة ولفحت الشمس الكون بحرارتها بلا رحمة، وتعب السلحف

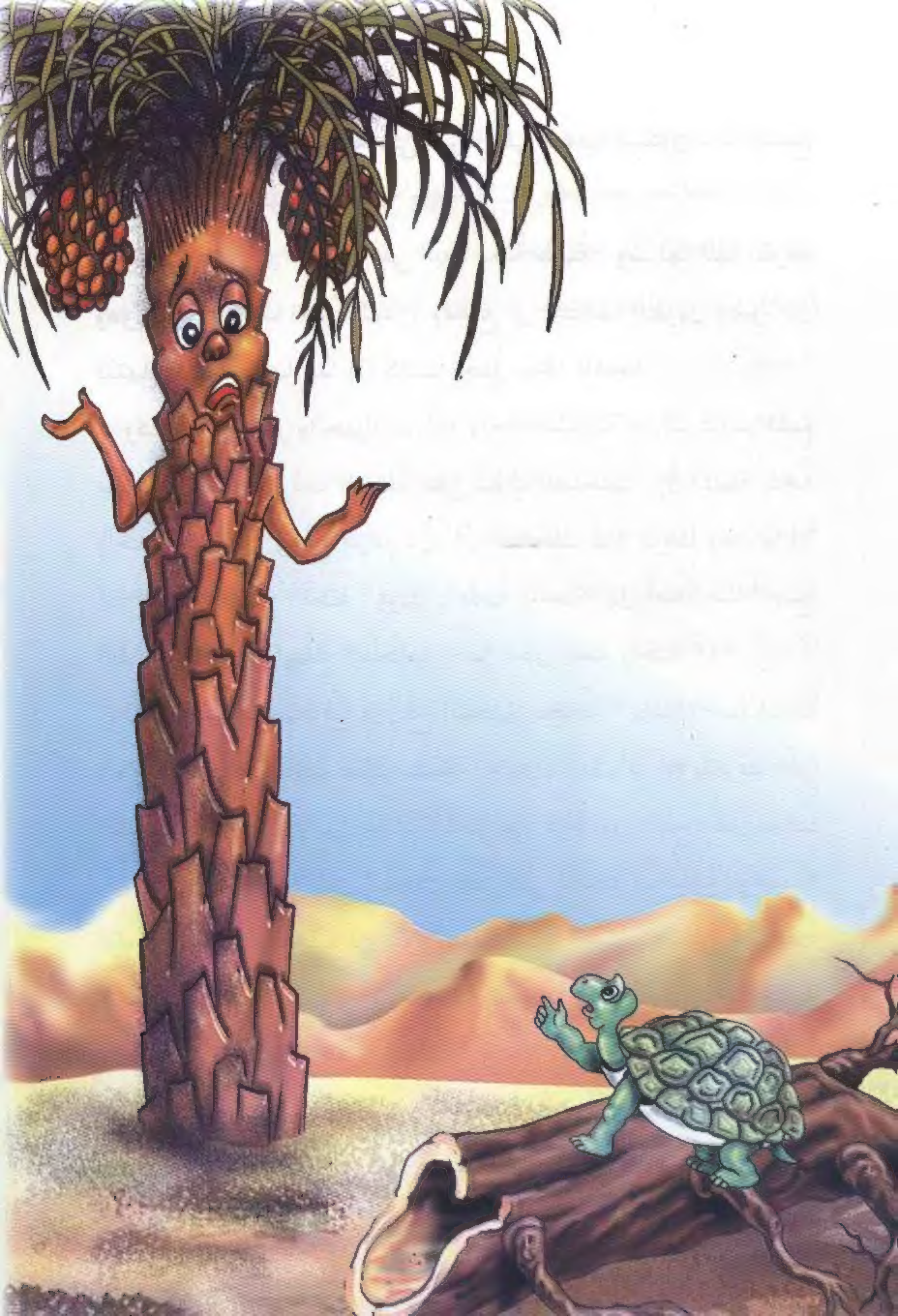
وتساقط عرقه ، وراح يدب على الأرض في صمت وسكون ، لا يسمع غير وقع أقدامه فوق الرمال .

ومضى سائرا إلى أن رأى على البعد نخلة طويلة ، ومد لها قلبه بسرعة وهو يمضي بطيئا نحو ظلها ، وتطلع إلى جذعها الطويل وصولا إلى قيمتها .. وهو يسألها عما إذا كانت تحمل بلحا ناضجا .

وكانت للأشجار والحيوانات لغة واحدة مشتركة ولذلك كانت تفهم بعضها البعض .. ردت النخلة على سؤال السلحف : إن لديها بلحة واحدة ناضجة .. وعلى الرغم من أن السلحف كان مرهقا وجائعا إلا أنه ضاق بما قالته النخلة ، وردد : بلحة واحدة؟ هل أصد هذا الجذع

الطويل العالى - بارتفاع السحاب - من أجل بلحة واحدة !!؟

كان السلحف يعرف أن بلح النخيل محاط - دائما - بالأشواك الحادة الصلبة . وكانت هناك مشكلة أخرى : كيف له أن يتعرف على الثمرة الناضجة من بين مئات الثمار في عرجون البلح؟ هل سوف يفحص بلحة بعد الأخرى .. حتى يعثر على البلحة الناضجة الوحيدة؟ أواه .. لا .. إن السلحف لن يقوم بهذا العمل الأحمق . ومضى السلحف غاضبا على النخلة وعلى الأرض التى تنمو من فوقها . وصب جم غضبه ولعناته على الأرض الجدياء البائسة ، وعلى التربة البوار ، الحمقاء التى لم تستطع أن تنجب سوى نخلة واحدة على رأسها بلحة واحدة فقط ناضجة . وواصل سيره .. ويبدو أن غضبه قد منحه طاقة جديدة تمكنه

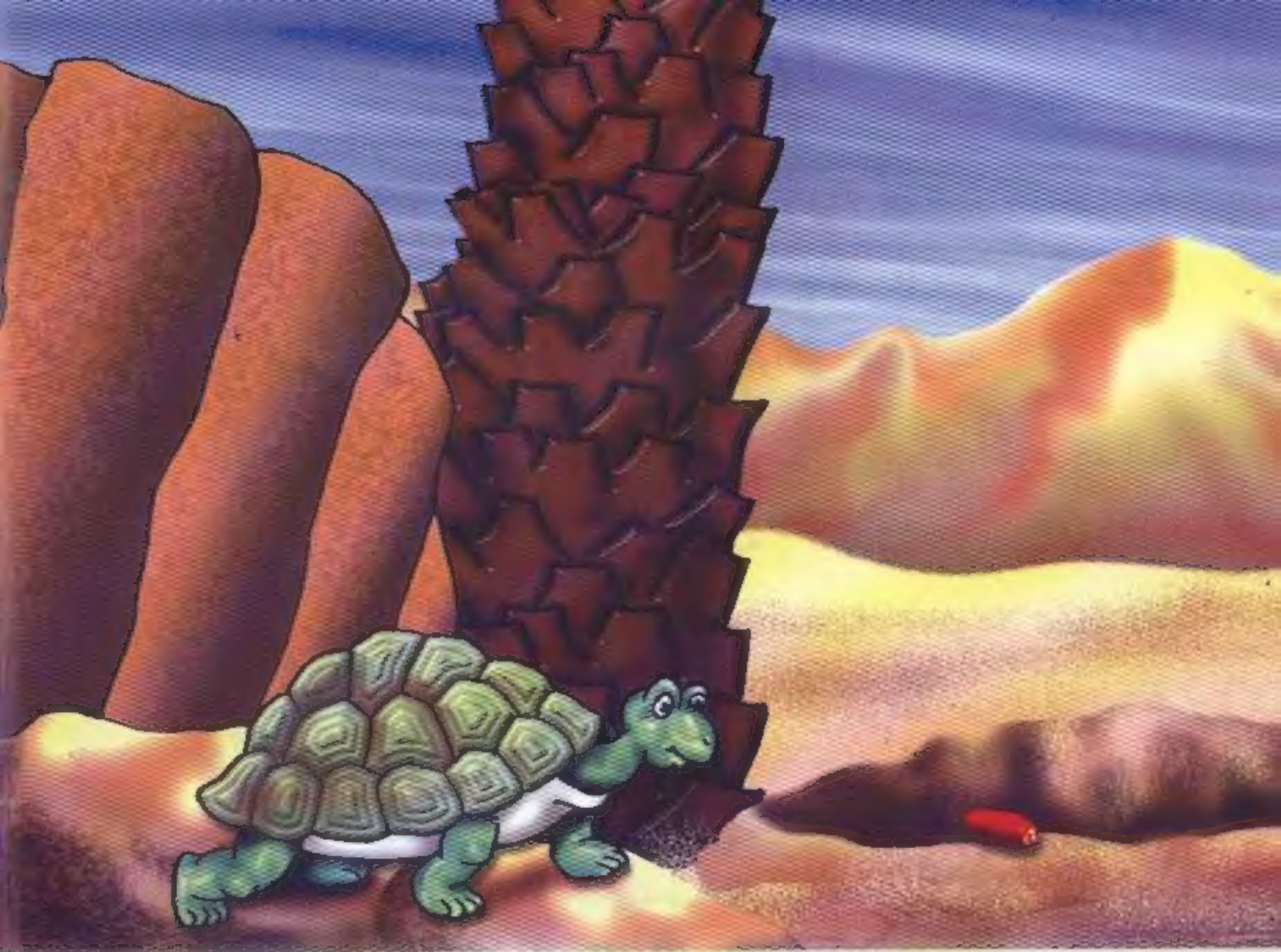


من المشي، لكن سرعان ما أبطأ مرة أخرى بعد أن شعر بإرهاق أكثر من ذي قبل. وازدادت حرارة الرمال تحت أقدامه. وارتفع صوت أقدامه المرهقة وهي تسير من فوق الأرض، أعلى وأعلى في رأسه.

ظل السلحف ماضيا في طريقه حتى وصل إلى نخلة أخرى فسألها كم ثمرة ناضجة لديها؟ فأجابته النخلة: "ثلاثة"، فانهال عليها السلحف سبًا وشتمًا.. وعلى الأرض التي أنبتتها، والتي لا تصلح لأي شيء ولا تناسب سوى "أنونو الطائر" فقط لكي يرقص من فوقها.

وكانت النخلة التالية تحمل عشر بلحات ناضجات، فكر السلحف في أمرها قليلا. عشر بلحات فقط من بين هذه المئات؟ بالطبع هي لا تستحق المجازفة. فماذا لو أنه أفلت فسقط من هذا الارتفاع الشاهق من أجل عشر بلحات لاغير؟ قال في صوت خفيض لا يكاد يسمع: أرض جرداء بخيلة. وأضاف: من يدري ربما أتسلقها إذا لم أجد أفضل منها.

شأن حظ السلحف أن يجد ما هو أفضل: نخلة متوسطة الطول تحمل في عراجينها أربعمئة بلحة مضاعفة ثلاث مرات. فسألها السلحف مرة أخرى ليتأكد من أنه قد سمع الرقم جيدا "كم عدد الثمار الناضجة التي تحملين أيتها النخلة السخية؟" فأجابت النخلة مؤكدة: "أربعمئة بلحة مضاعفة ثلاث مرات".



وَرَقَصَ السِّلْحَفُ فَرِحًا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى النَّخْلَةِ فِي رِضًا وَإِعْجَابٍ.. وَبَيْنَمَا هُوَ يَرْقُصُ تَصَوَّرَ أَنَّهُ سَمِعَ صَوْتًا خَافِتًا يَرْتَفِعُ مِنْ بَاطِنِ هَذِهِ الْأَرْضِ السَّخِيَّةِ:

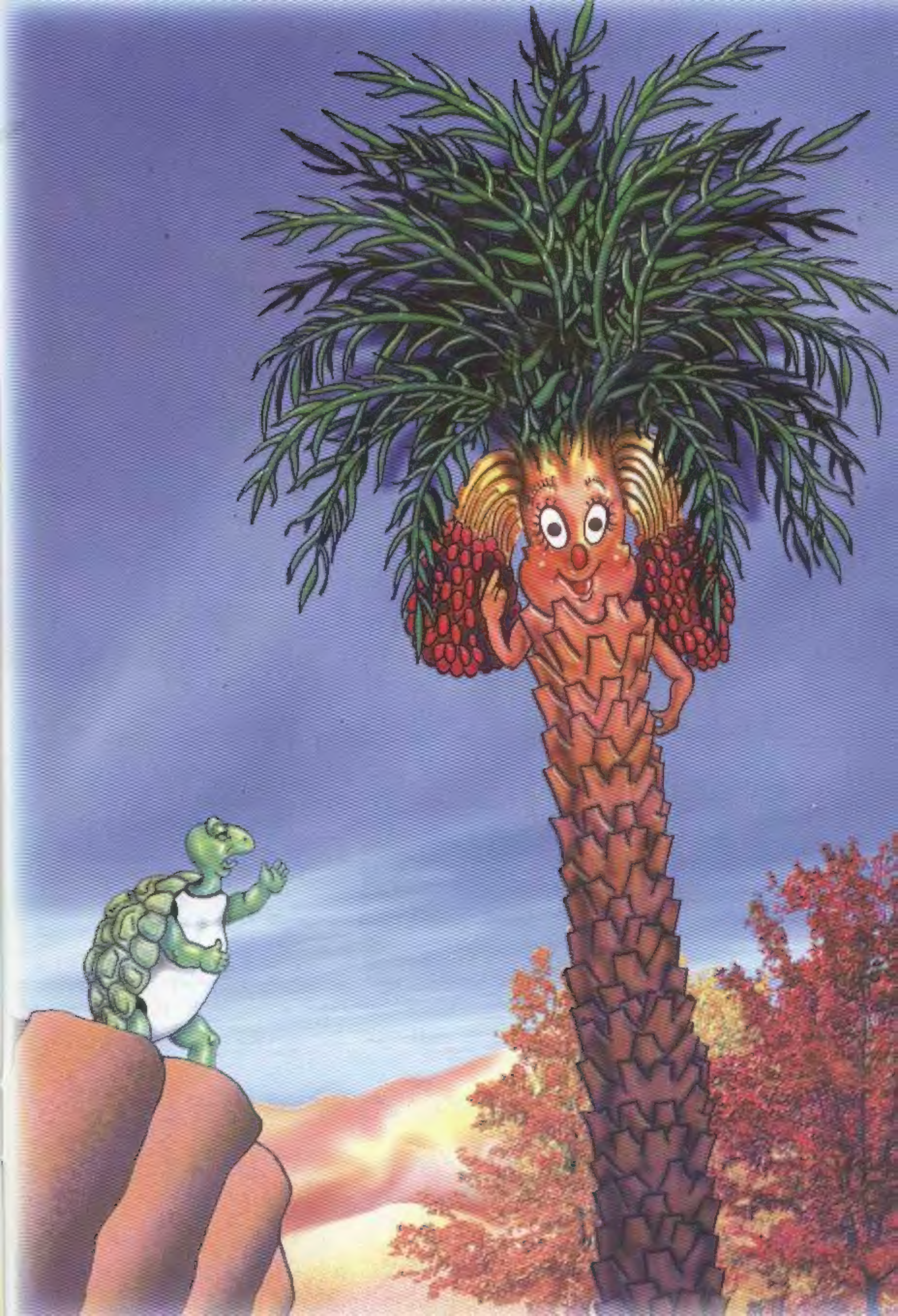
- نَعَمْ.. إِنَّهَا أَرْبَعُمِائَةٍ مُضَاعَفَةٌ ثَلَاثَ مَرَاتٍ. إِنَّهَا أَلْفٌ وَ مِائَتَا بَلْحَةٍ.

رَاحَ السِّلْحَفُ يَتَسَلَّقُ النَّخْلَةَ وَقَدْ عَادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ وَحِمَاسَتُهُ، بَلْ إِنَّ الشَّمْسَ بَدَتْ كَأَنَّهَا قَدْ خَفَّتْ مِنْ حَرَارَةِ أَشْعَتِهَا.. وَفِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ إِلَى قِمَةِ النَّخْلَةِ شَعَرَ بِنَسِيمٍ خَفِيفٍ رَقِيقٍ يَهْبُّ عَلَيْهِ فَيَرْطِبُ جَسَدَهُ. وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى الْعُرْجُونَ بَوَضُوحٍ وَبِهِ الْأَرْبَعُمِائَةُ بَلْحَةِ الْمِضَاعَفَةِ ثَلَاثَ

مراتٍ وتساءَلَ هل سَيستطيع أن يأكلَهَا كُلَّهَا اليوم أم أن عليه أن يعودَ إليها مرةً أُخرى غداً ؟ لكنْ، ماذا لو أن أحداً غيره - مثل الطائر "أنونو" - جاء من هَذَا الطريقِ واكتشفَ بقايا مَأدبته العامة الشهية؟! لا، من الأفضل أن يضع كلُّ شيءٍ الآن في مَعِدته، ليطمئنْ، حيث إنَّ البلح سَيكونُ في أمانٍ تام.. وقَهقه بصوتٍ مُرتفع: "أربعمائة مضاعفة ثلاث مراتٍ. طريقةٌ مُبتكرةٌ لقولنا: ألف ومائتان."

وكان قد وَصَلَ إلى قمةِ النَّخلةِ، تحتَ الجريدِ الَّذِي يَحْمِلُ البلحَ النَّاضِجَ تماماً. فصَعَدَ خطوةً أُخرى جَانِبِيَّةً ثُمَّ عَدَلَ مِنْ نَفْسِهِ لِكى يَتَوَازَى مَوْقِعُهُ معَ البلحِ النَّاضِجِ. ومدَّ يَدَهُ وقَطَفَ الثمرةَ الأولى وألقى بِهَا في فَمِهِ. كانتَ أَلَذُّ وأَحْلَى بلحةً ذاقَهَا في حَيَاتِهِ، لم تكن كَبِيرَةً الحجم، لكنها كانتَ صَغِيرَةً النواة. وقَطَفَ بلحةً أُخرى وثالثَةً ورابعةً وخامسةً ودَفَعَهَا كُلَّهَا إلى فَمِهِ حَتَّى انتَفَخَ من الجَانِبَيْنِ، وأَخَذَ يَمَضُغُ وَيَمَضُغُ وَيَبْتَلِغُ العَصِيرَ الطَّازِجَ إلى أنْ انتهى العَصِيرُ تماماً. وتَخَلَّصَ مما تَبَقَّى من أَلْيَافٍ. ثُمَّ مَلَأَ فَمَهُ مرةً أُخرى بخمسةِ بَلَحَاتٍ أُخرى، وقَطَفَ بلحةً سادسةً لِكى تَكُونَ جاهزةً وتَحْرَكَ في نفسِ الوقتِ يُحاوِلُ أنْ يُغَيِّرَ من موضِعِهِ فوقَ النَّخلةِ حَتَّى يَقْتَرِبَ أَكْثَرَ من الثمارِ اللَّذِيذَةِ، وأثناءَ ذَلِكَ انزَلَتْ البلحةُ من بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَسَقَطَتْ عَلَى الأرضِ. وهُنَا شَعَرَ السِّلْحَفُ بأنه أخطأ..

وقَالَ لِنَفْسِهِ:



— إِنَّنِي آسَفٌ، وَلَنْ أَسْمَحَ لَوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ الْعَجِيبَةِ أَنْ تَضَيَّعَ مِنِّي.

وَبَدَأَ يَنْزِلُ مِنْ عَلَى النَّخْلَةِ كَيْ يَبْحَثَ عَنِ الْبَلْحَةِ الَّتِي سَقَطَتْ.

— ٢ —

وَقَعَتِ الْبَلْحَةُ عَلَى حَافَةِ جُحْرِ فِي الْأَرْضِ يَبْدُو غَمِيقًا.. فَقَالَ السِّلْحَفُ لِنَفْسِهِ:

— إِذَا أَنَا لَمْ أَهْبِطَ بِسُرْعَةٍ سَيُخْرِجُ حَيَوَانٌ مِنْ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَعِيشُ فِي هَذَا الْجُحْرِ وَيَأْخُذُ بِلَحْتِي اللَّذِيذَةِ.

وَمَدَّ يَدَهُ لِكَيْ يَلْتَقِطَ الْبَلْحَةَ فَانْزَلَتْ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى دَاخِلِ الْجُحْرِ وَاسْتَقَرَّتْ تَحْتَ السَّطْحِ بِقَلِيلٍ.. فَمَدَّ السِّلْحَفُ يَدَهُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى دَاخِلِ

الْجُحْرِ لِكَيْ يَمْسَكَ بِهَا فَانْزَلَتْ إِلَى مَسَافَةٍ أَبْعَدَ مِمَّا تَسْتَطِيعُ يَدُهُ أَنْ تَصَلَ إِلَيْهَا، لَكِنَّهُ كَانَ مَازَالَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَرَاهَا.. وَلَا حَظَّ السِّلْحَفُ أَنْ الْجُحْرَ غَمِيقٌ جَدًّا وَأَنَّ فِي مَقْدُورِهِ أَنْ يَهْبِطَ إِلَيْهِ دَرَجَةً دَرَجَةً، فَسَأَلَ نَفْسَهُ:

— مَا اسْمِي؟ أَلَسْتُ أَنَا السِّلْحَفُ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ

إِلَى الْمَعْرَكَةِ؟

ونَزَلَ إلى الجُحْرِ ومدَّ ذِرَاعَهُ لِكِي يَمْسُكَ بِالْبَلْحَةِ . وما أن لَمَسَهَا بِأَصْبَعِهِ حَتَّى تَدَحْرَجَتْ إلى أسفل عَلَى الدَّرَجَةِ التَّالِيَةِ . فقال السِّلْحَفُ :

– أينما ذَهَبَتْ أَيْتَهَا الْبَلْحَةُ اللَّذِيذَةُ فَسَوْفَ يَذْهَبُ مَعَكَ السِّلْحَفُ .

وَهَبِطَ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ عَلَى السَّلْمِ الطَّوِيلِ . تَسْبِقُهُ بِالطَّبْعِ الْبَلْحَةُ الَّتِي مَا أَنْ يَلْمَسَهَا حَتَّى تَنْزَلِقَ إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ .

وفجأةً وَجَدَ السِّلْحَفُ نَفْسَهُ قَدْ خَرَجَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى مِنَ الْجُحْرِ وَوَجَدَ نَفْسَهُ فِي سَاحَةٍ وَاسِعَةٍ أَمَامَ أَكْوَاحٍ وَأَشْجَارٍ وَحُقُولٍ . لَكِنَّ الضَّوْءَ كَانَ بَاهِتًا بِشَكْلِ غَرِيبٍ لِذَلِكَ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو أَمَامَهُ أَصْفَرَ اللَّوْنِ .. وبعد قَلِيلٍ لَمَحَ صَبِيًّا صَغِيرًا يَقِفُ بِالْقَرْبِ مِنْهُ . يَمْضَغُ شَيْئًا مَا فِي فَمِهِ . فسأله السِّلْحَفُ :

– مَاذَا تَأْكُلُ أَيُّهَا الصَّبِيُّ؟

أَجَابَهُ الصَّبِيُّ : إِنَّنِي آكُلُ بَلْحَةً .

وكان الصَّبِيُّ يَتَحَدَّثُ مِنْ أَنْفِهِ كَمَا لو أَنَّهُ مُصَابٌ بِنُوبَةٍ بَرْدٍ .

سَأَلَهُ السِّلْحَفُ : أَيْنَ وَجَدْتُهَا ؟

قال الصَّبِيُّ : كُنْتُ أَنْظِفُ سَاحَتَنَا هَذِهِ . وفجأةً سَقَطَتْ أَمَامِي هَذِهِ

الْبَلْحَةُ مِنْ أَعْلَى .. مِنَ السَّمَاءِ .

قال السِّلْحَفُ : “الآن فَهَمْتُ .. هل تَعْتَقِدُ أَنَّي أَبْضَا سَقَطْتُ مِنْ

السَّمَاءِ؟”

فرد الصَّبِيُّ : نَعَمْ يَا سَيِّدِي.

قَالَ السِّلْحَفُ : ” حَسَنًا ، إِنَّنِي لَمْ أَسْقِطْ مِنَ السَّمَاءِ . ثُمَّ إِنَّنِي أُرِيدُكَ أَنْ تُعَرِّفَ شَيْئًا آخَرَ . . إِنَّنِي صَاحِبُ هَذِهِ الْبَلْحَةِ الَّتِي التَّهَمَّتْهَا “ .

اعْتَذَرَ لَهُ الصَّبِيُّ قَائِلًا : إِنَّنِي آسَفُ يَا سَيِّدِي ، مَا كُنْتُ أَعْرِفُ .

قَالَ السِّلْحَفُ : ” لَا دَاعِيَ لِلْأَسْفِ أَيُّهَا الصَّبِيُّ . فَقَطِّعْ هَاتِي بِلِحْتِي الْآنَ وَفُورًا وَإِلَّا أَخَذْتُكَ مَعِيَ إِلَى بِلَادِي .

بَدَأَ الصَّبِيُّ يَبْكِي وَسَمِعَ أَبَوَاهُ وَآخَرُونَ بَكَاءَهُ فَانْدَفَعُوا إِلَيْهِ مُهْرُولِينَ مِنَ الْأَكْوَاحِ وَمَنْ خَلْفَ الْأَشْجَارِ وَسَأَلُوهُ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ . . كَانُوا جَمِيعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ مِنْ أَنْوْفِهِمْ . .

فَقَالَ السِّلْحَفُ : مُخَاطِبًا وَالِدَ الصَّبِيِّ : إِنْ ابْنُكَ التَّهَمَ بِلِحْتِي ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعِيدَهَا إِلَيَّ وَإِلَّا أَخَذْتَهُ مَعِيَ إِلَى بِلَادِي .

سَأَلَهُ وَالِدُ الصَّبِيِّ : ” فَمَنْ تَكُونُ أَنْتَ إِذَا سَمَحْتَ لِي بِالسُّؤَالِ ؟ “

– أَنَا السِّلْحَفُ الَّذِي لَا يَتَرَجَّعُ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ .

قَالَ وَالِدُ الصَّبِيِّ : ” أَظُنُّ أَنَّي سَمِعْتُ عَنْكَ . . نَحْنُ أَرْوَاحٌ . وَهَذِهِ مَدِينَتُنَا ، مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا السِّلْحَفُ فِيهَا . .

التَفَتَ الْأَبُ إِلَى الصَّبِيِّ وَسَأَلَهُ : ” هَلِ التَّهَمْتُ بِلِحَةَ السِّلْحَفِ ؟ “

رَدَّ الصَّبِيُّ وَالْذُمُوعُ تَتَرَقَّرُ مِنْ عَيْنَيْهِ :

– نَعَمْ ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّهَا تَخْصُهُ هُوَ .



فقال الأب الروح: "هذا أمرٌ بسيطٌ. إن لدينا كثيراً من النخيل هنا وسوف نعطيك أيُّها السلحفُ عشرَ بلحاتٍ مُقابلِ البلحةِ التي فقدتها".

ردَّ السلحفُ: لا... لا.. إِمَّا أَنْ آخِذَ بِلِحَتِي أَوْ آخِذَ ابْنِكَ مَعِيَ إِلَى بِلَادِي.

عندما سَمِعَ الصَّبِيُّ هَذَا الْكَلَامَ رَاحَ يَبْكِي. فَصَاحَ فِيهِ أَبُوهُ :
- الزم الهدوء يا بني. ثُمَّ اتَّجِهْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى السِّلْحَفِ يُحَاوِلُ تَسْوِيَةَ الْأَمْرِ مَعَهُ : حَسَنًا سَوْفَ نُعْطِيكَ عُرْجُونًا بِأَكْمَلِهِ بَدِيلًا عَنْ ثَمَرَتِكَ الَّتِي فَقَدْتَهَا.

فَقَالَ السِّلْحَفُ : "أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ سَخِيفًا مَعَكُمْ. لَكُنْكُمْ فَعَلًا تَضِيعُونَ وَقْتِي الثَّمِين. إِمَّا بِلِحَتِي وَإِمَّا الصَّبِيُّ. انْتَهَى الْأَمْرُ.
فَرَّ الصَّبِيُّ هَارِبًا، وَهُوَ يَصْرُخُ إِلَى دَاخِلِ الْأَكْوَاخِ. فَصَاحَ فِيهِ السِّلْحَفُ :

- قَفْ عِنْدَكَ. وَأَخِذْ يَجْرِي وَرَاءَهُ ، مُقْتَفِيًا أَثَرَهُ لَكِنِ الْأَبُ اعْتَرَضَ طَرِيقَهُ قَائِلًا :

- تَعَالَ هُنَا أَيُّهَا الصَّدِيقُ. لَا تُفْرَعْ الصَّبِيُّ الْمُسْكِين. سَوْفَ نُعْطِيكَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ أَشْجَارِ النَّخِيلِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ.

فَسَأَلَهُ السِّلْحَفُ : أَيُّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ؟

ردَّ الأبُ : "طَبْلَةٌ"

قَالَ السِّلْحَفُ : "طَبْلَةٌ ؟ هَلْ أَبْدُو أَمَامَكَ أَنْتَنِي "طَبَّالٌ" ؟ انظروا أَيُّهَا
الأَعْزَاءُ لَقَدْ كُنْتُ صَبُورًا جَدًّا مَعَكُمْ ..

قَالَ الأبُّ : "لَقَدْ كُنْتُ صَبُورًا بِالْفِعْلِ ، وَنَحْنُ نُحِبُّكَ لِهَذَا الصَّبْرِ . إِنْ
الطَبْلَةُ الَّتِي سَوْفَ أَهْدِيهَا لَكَ لَيْسَتْ طَبْلَةً عَادِيَّةً . اقْبَلْهَا مِنِّي وَسَوْفَ
تَكُونُ سَعِيدًا لِأَنَّكَ أَخَذْتَهَا مِنِّي " .

قَالَ السِّلْحَفُ : حَسَنًا سَوْفَ أَقْبِلُ الطَبْلَةَ ، هَذَا فَقَطْ لِأَنَّكَ مُهَذَّبٌ
وَكَلِمَاتُكَ رَقِيقَةٌ . لَكِنْ عَلَّمَ ابْنُكَ أَنْ يَكُونَ حَذِرًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَأَلَّا يَأْخُذَ
أَيَّ شَيْءٍ يَسْقُطُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ . أَيْنَ الطَبْلَةُ ؟

قَامَ الأبُّ وَأَحْضَرَ لَهُ طَبْلَةً صَغِيرَةً غَرِيبَةً وَمَعَهَا الْعِصَا الَّتِي تَدُقُّ
عَلَيْهَا . عَلَّقَ السِّلْحَفُ الطَبْلَةَ عَلَى كَتِفِهِ بِالْحِزَامِ الْمَرْبُوطِ بِهَا وَكَانَ عَلَى
وَشَكِّ أَنْ يَطْرُقَ عَلَيْهَا . إِلَّا أَنَّ الأبَّ أَوْقَفَهُ بِسُرْعَةٍ مُمْسِكًا بِيَدِهِ -
وَقَالَ لَهُ :

لَا تَطْرُقْهَا هُنَا ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَطْرُقَ عَلَيْهَا بِرَفْقٍ حِينَمَا تَخْرُجُ عَائِدًا
إِلَى الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ . وَإِذَا لَمْ تُصَبِّكِ الطَبْلَةُ بِالْدَهْشَةِ ، فَسَوْفَ تُصِيبُنِي
أَنَا الدَّهْشَةَ " .

قَالَ السِّلْحَفُ وَدَاعًا لِلْأَرْوَاحِ . وَبَدَأَ يَرْتَقِي السَّلْمَ عَائِدًا إِلَى عَالَمِ الضُّوءِ
الْأَبْيَضِ . وَوَقَّفَ تَحْتَ النَّخْلَةِ الَّتِي كَانَ يَقْطِفُ مِنْهَا الْبَلَحَ . ثُمَّ أَخَذَ يَطْرُقُ
الطَبْلَةَ ، فَانْبَعَثَ عَنْهَا صَوْتُ مُخْتَلِفٌ تَمَامًا عَنْ صَوْتِ أَيْةِ طَبْلَةِ أُخْرَى
سَمِعَهَا : كَبِمَ بَتَو .. كَبِمَ بَتَو ..



اجباتنى.. نوقا..

جدى جده. جدى جده.. أنيلى نانو.

وَعَلَى الْقَوْرِ وَجَدَ أَمَامَهُ مَائِدَةً مَلِيئَةً بِالطَّعَامِ، عَلَيْهَا جَمِيعُ
الْأَطْعَمَةِ الشَّهِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَحْلُمُ بِهَا، وَجَدَهَا مَوْضُوعَةً أَمَامَهُ
بِإِسْرَافٍ: أُرْزَ، فَاصُولِيَا، فُولٌ، لُوبِيَا، أَسْمَاكٌ، لُحُومٌ مَطْهِيَّةٌ وَكُؤُوسٌ
مَلِيئَةٌ بِعَصَائِرِ الْفَوَاكِهِ، خَاصَّةً عَصِيرَ الْبَلَحِ. وَحِينَمَا انْتَهَى مِنْ طَعَامِهِ
وَقَامَ لِكَيْ يَمْشِيَ - غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حَالَةٍ تَسْمَحُ لَهُ بِالسَّيْرِ
بِسُهُولَةٍ بِسَبَبِ امْتِلَاءِ مَعْدَتِهِ - خَطَا ثَلَاثَ أَوْ أَرْبَعَ خَطَوَاتٍ



غير مُتَزَنَة ، ثُمَّ تَذَكُر النَّخْلَةَ الَّتِي كَانَتْ السَّبَبَ وَرَاءَ كُلِّ هَذِهِ الثَّرْوَةِ الَّتِي
 حَصَلَ عَلَيْهَا ، فَعَادَ إِلَيْهَا وَرَبَّتْ بِحَنَانٍ عَلَى جَذْعِهَا وَقَالَ :
 - شُكْرًا لَكَ أَيَّتُهَا النَّخْلَةُ . قَالَ ذَلِكَ خَمْسُ أَوْ سِتْ مَرَاتٍ ثُمَّ اتَّجَهَ
 نَحْوَ مَنْزِلِهِ وَمَعَهُ طَبْلَتُهُ . وَبَعْدَ خُطَوَاتٍ قَلِيلَةٍ تَذَكَّرَ ذَلِكَ الْجُحْرُ الَّذِي هُوَ
 فِي الْأَرْضِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَانْحَنَى عَلَيْهِ وَهَمَسَ فِيهِ :
 - شُكْرًا لَكَ أَيُّهَا الْجُحْرُ . " كَرَّرَ ذَلِكَ حَوَالِي سَبْعِ مَرَاتٍ ، ثُمَّ عَادَ
 مُتَّجِهًا إِلَى مَنْزِلِهِ مَرِحًا وَهُوَ يُصَفِّرُ بِسَعَادَةٍ طَوَالَ الطَّرِيقِ ..

- ٣ -

فِي الْبَدَايَةِ ، فَكَّرَ السَّلْحَفُ فِي أَنْ يَحْتَفِظَ بِالطَّبْلَةِ سِرًّا يُخْفِيهِ عَنْ كُلِّ
 الْحَيَوَانَاتِ الْأُخْرَى . لَكِنْ بَعْدَ أُسْبُوعٍ مِنَ التَّلَذُّذِ بِالطَّعَامِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي
 حُجْرَتِهِمَا السَّرِّيَّةِ جِدَا دَاخِلَ مَنْزِلِهِمَا ، جَاءَ إِلَى السَّلْحَفِ خَاطِرٌ آخَرُ :
 - لَوْ أَطْعَمْتُ الْحَيَوَانَاتِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي ذَبَلْتُ فِيهِ أَجْسَادُهَا
 وَنَحَلْتُ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ فَسَوْفَ يُكْرِمُونَنِي وَيَحْتَفِلُونَ بِي . بَلْ رُبَّمَا
 يُنْصِبُونَنِي مَلِكًا عَلَيْهِمْ . سَوْفَ يَكُونُ ذَلِكَ رَائِعًا حَقًّا .

الْمَشْكَالَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تُوَاجِهُهُ هِيَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ إِلَى
 مَتَى سَيَسْتَمِرُّ الطَّعَامُ الَّذِي تَأْتِي بِهِ الطَّبْلَةُ .. إِنَّهُ حَتَّى الْآنَ ، بَعْدَ أُسْبُوعٍ
 كَامِلٍ ، لَمْ تَظْهَرِ الطَّبْلَةُ أَيَّةَ عِلَامَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الطَّعَامَ الَّذِي تَأْتِي بِهِ
 يَقِلُّ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَمَنْ يَدْرِي مَا الَّذِي يَحْدُثُ إِذَا أَكَلْتُ مِنْهَا كُلَّ حَيَوَانَاتِ

الْبَلَدَةِ ؟ !

وفى النهاية، لم يستطع السلحف أن يُقاوم فكرة أنه سيصبح البطل
المحبوب بين الحيوانات بل وربما ملكاً أيضاً. ولو انتهى الطعام من
الطبلية السحرية، فإنه يستطيع دائماً أن يهبط مرةً أخرى إلى أرض
الأرواح من أجل طبلية جديدة.. لا بد أن لديهم مئات أخرى منها.
وفى اليوم التالى قدّم الدعوة لجميع الحيوانات فى البلد.. بعث إليها
بالطائر "أنونو" يُخبرها أن تلتقى فى بيت السلحف فى وقت الغداء فى
اليوم التالى..

وأضاف السلحف للطائر "أنونو" فى شئ من الغموض:
- قل لهم أن لدى رسالة إليهم من أرض الأرواح.

فسأله الطائر أنونو

بدهشة كبيرة: "من

أرض الأرواح" ؟ !

ردّ السلحف :

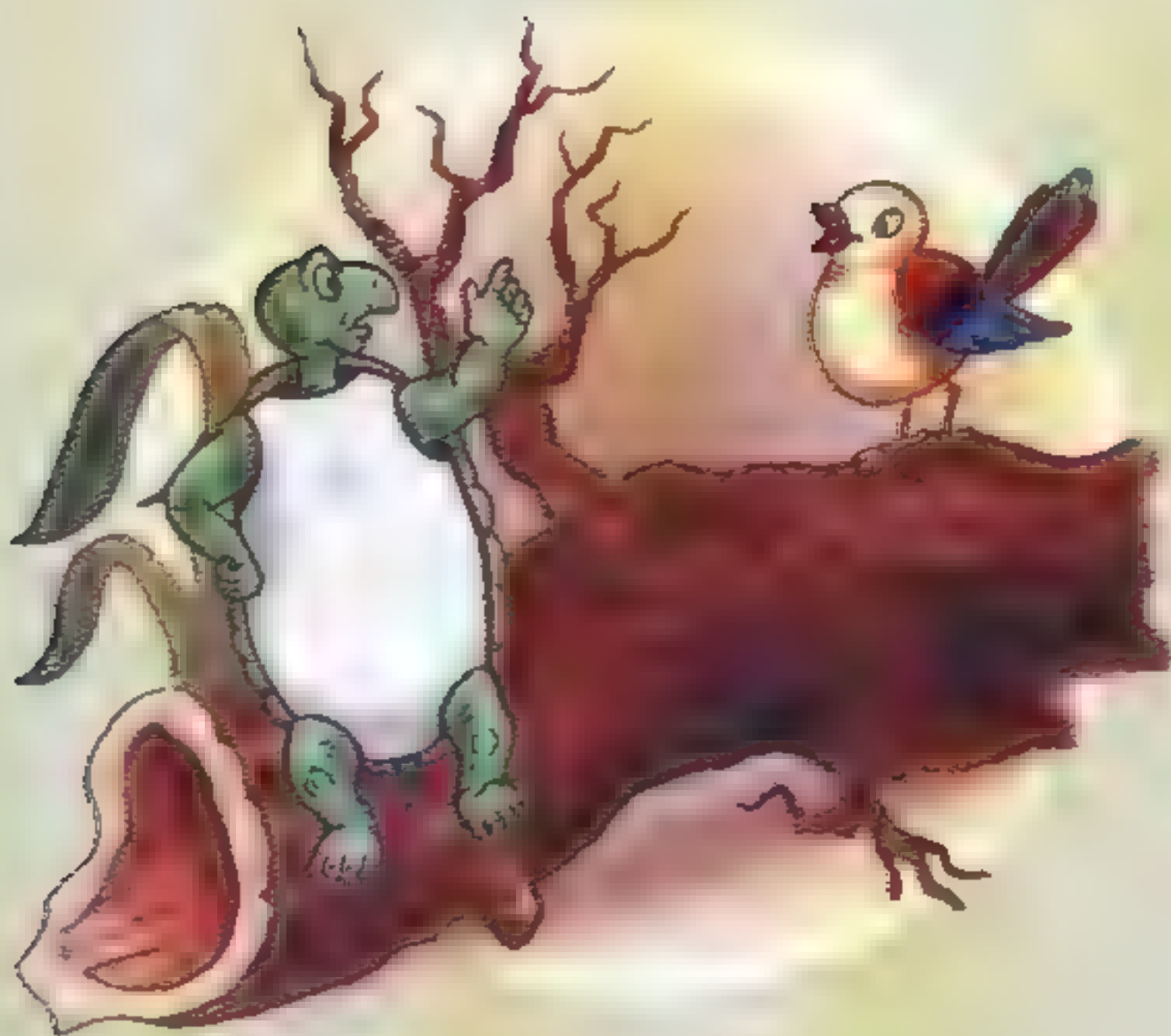
"نعم ، هذا صحيح.

أخبر كل واحدٍ

منهم، أخبر كل

حيوانٍ فى المملكة

على حدة".



سأله "أنونو": في المملكة؟ أية مملكة ؟ !

قال السلحفُ مُستدرَكًا: "أوه يا عزيزي غفوا. إنَّ أفكارى تتسرَّب مِنى هذا الصباح لقد كانت تلك زلَّة لسان كما يقال. لم أقصدُ أن أقول: "مملكة" وإنما كنتُ أقصدُ "البلد". أخبر جميع الحيوانات في البلد أنْ تحضِرَ إلى هنا ؟ إلى "قَصْرِى" .. أقصدُ إلى "بيتى" فى وقت الغداء لأنقلَ لهم رسالة هامة جدًا من أرض الأرواح. والآن انطلق يا عزيزى وسوف أراكم جميعا غدًا".

كان الطائرُ "أنونو" يطيِرُ، وهو يفكرُ فى السلحفِ وكيف أصبح يتصرفُ بطريقة غريبة فى هذه الأيام. وقال لنفسه :

- أرجو ألاَّ يُحاول هذا السلحفُ أن يفتح صندوق حيله القديمة. فأنا لا أريدُ أن أكون شريكًا فى هذا السخفِ .. ربما يجبُ علىَّ أن أتجاهل رسالته وأطيِرَ إلى عَشَى وأتحمل الجوع . فذلك أفضل.

غير أنه كان هناك شىء ما فى سلوك السلحف جعل الطائر "أنونو" يقتنع بأنه كان جادا بجانب أنه مما يُثير العجب مظهر السلحف وزوجته إذ كان يبدؤ عليهما الشَّبْع والتَّغْذِيَةُ الجيدة، وكأن من تبدو عليه مظاهر الشَّبْع فى هذا الوقت يستحق الالتفات إليه حتى لو كان معروفا عنه أنه مُحْتال .. لذلك حمل الطائر "أنونو" رسالة السلحف إلى جميع الحيوانات فى البلد. وقد اهتم القليل منها بدعوة السلحف. واعتقد البعض الآخر أنه ربما كانت تلك إحدى مُداعباته السَّخيفة وبقي

هؤلاء فى بيوتهم. بل إنَّ بعضهم كان غاضبًا؛ لأن مجرد ذكر وقت الغداء فى هذا الوقت الذى يَسودُ فيه الجوع العام يُعتبرُ دعاية قاسية. والبعضُ كان ضَعيفًا جدًّا من شدة الجوع فلم يَسْتَطِعْ أن يبدى اهتمامًا بالموضوع.

واتخذ من جاء من الحيوانات مقاعدهم تحت ظل شجرة عجوزٍ عتيقةٍ عند بيت السلحف.. جاء القرد لمجرد الفضول، وجاءت السحلية لأن منزلها قريبٌ من بيت السلحف، وجاء النمر وهو عازمٌ على أن يسحق السلحف إذا اتضح أن دعوته كانت مجرد خدعة. وكانت هناك بضعة حيوانات أخرى لكلٍّ منها سبب ما، جعله يُلَبى الدعوة.

ولما صار واضحًا أنه لم يعد هناك من يتوقع حضوره بعد الآن، قام السلحف وتحدث إلى ضيوفه. وبدأ حديثه بالعبارة الماثورة:

— إذا قللتُ من شأن القدر الصغير فوق الموقد، فسوف تغلى وتطفئ النار من تحتها. إننى أعرفُ أننى مجردُ زميلٍ ضئيلٍ الحجم مُقارنَةً بالحيوانات العملاقة مثل الفيل والجَاموس ووحيد القرن وما إلى ذلك. وربما كان هذا هو السبب فى أن الكثيرين تجاهلوا دعوتى. لكن الصغار أحيانًا يكونُ لهم دورهم وأهميتهم و فائدتهم..

عند ذلك تَدمر النمرُ قائلاً:

— من فضلك تحدث مباشرةً فى الموضوع.

قَالَ السُّلْحَفُ : حَسَنًا ، سَوْفَ أَتَحَدَّثُ يَا عَزِيزِي النَّمِرَ عَلَى الْفُورِ ،
لَكِنْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نُجَهِّزَ الْأَرْضَ قَبْلَ أَنْ نَضَعَ فِيهَا الْبُذُورَ ، وَقَالَ
الْحُكَمَاءُ أَيْضًا إِنَّ الْأَكْلَ بَدْونَ كَلَامٍ وَأَسْئَلَةٍ يُسَبِّبُ الْمَرَضَ .
وَهُنَا قَالَ الْقَنْفُذُ وَقَدْ وَقَفَ شَوْكُهُ غَضَبًا : "لَقَدْ خَصَلْنَا عَلَى مَا يَكْفِي
مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالنَّكَاتِ بِشَأْنِ الْأَكْلِ . وَبَدَأَ صَبْرِي يَنْقُذُ" .

قَالَ السُّلْحَفُ : حَسَنًا أَيْتَهَا الْحَيَوَانَاتُ الطَّيْبَةُ . سَوْفَ أَتَحَدَّثُ فِي
الْمَوْضُوعِ مُبَاشَرَةً .. إِنَّ الْجُوعَ قَدْ أَصَابَنَا جَمِيعًا ، وَقَدْ عَانَيْنَا مِنْهُ ثَلَاثَةَ
أَعْوَامٍ مُتَتَالِيَةٍ . وَلِذَلِكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ قُلْتُ لِنَفْسِي : "إِنْ كُلَّ
الْحَيَوَانَاتِ فِي بِلَدِي سَوْفَ تَمُوتُ وَتَنْتَهِي إِلَّا إِذَا جَاءَ مَنْ يَنْقُذُهَا .
شَخْصٌ مَا يَكُونُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُخَاطَرَ بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِ رِفَاقِهِ ، وَرَأَيْتُ
أَنْ أَكُونَ هَذَا الشَّخْصَ وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَنَا .."

وَضَحِكْتَ بَعْضُ الْحَيَوَانَاتِ لِمَجَرَّدِ الْفِكْرَةِ . السُّلْحَفُ يَكُونُ هُوَ الْمُنْقَذُ .
يَالَهَا مِنْ دُعَابَةٍ طَرِيفَةٍ .

قَالَ الْقَرْدُ : اسْتَمِرْ أَيْهَا "الْمُنْقَذُ" الْعَظِيمُ .
فَاسْتَمِرَّ السُّلْحَفُ : وَلِذَلِكَ قُلْتُ وَدَاعًا لِرُزُوجَتِي ، لِأَنْنِي ظَنَنْتُ
أَنْنِي قَدْ لَا أَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ مَرَّةً أُخْرَى .. وَلَمْ أَخْبَرْهَا عَنْ مَقْصَدِي لِأَنْنِي
كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهَا كَانَتْ سَتَقْفُ فِي طَرِيقِي ..

فَسَأَلَهُ الْخُرُوفُ : وَإِلَى أَيْنَ كُنْتَ ذَاهِبًا أَيُّهَا الْمَجْنُونُ ؟



ردُّ السلحفُ: "كنتُ ذاهبًا إلى أرض الأرواح".
وضجَّت الحيواناتُ بالضحك.. كَانَ الخروفُ مُحِقًّا.. عَلَى مَا يَبْدُو.
وَأَنَّهُ مجنون. لا يَدُ أَنَّ الجوعَ قد وصلَ إلى عَقْلِهِ في النِّهَايَةِ فأصابه
بِالْجُنُونِ. لكن السلحف كَانَ الآن مُستغرقًا تمامًا في حماسِهِ بالقِصَّةِ الَّتِي
كَانَ يَنسُجُهَا إلى حَدٍّ أَنَّهُ لَمْ يُنْصِتْ إلى الضحك السَّاحِرِ مِنَ الحيواناتِ.
بل أَضَافَ: وَهَكَذَا سَافَرْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ. وَغَبِرْتُ مِنَ الأَنْهَارِ
سَبْعًا وَاخْتَرَقْتُ سَبْعَ غَابَاتٍ سِيرًا عَلَى أَقْدَامِي حَتَّى وَصَلْتُ فِي النِّهَايَةِ
إِلَى مَمْلَكَةِ الأرواحِ فَأَخَذُونِي إِلَى مَلِكِهِمْ."

وهنا قال النمر: "مسكين هذا السلحف. لقد ذهب عقله تماما.. وقام
فغادر المكان.

وقال السلحف: "ولكى أوجز القصة الطويلة.. أخبرت ملكهم أن
شعبي يموت جوعاً في بلادى، وأتني لابد أن أجد علاجاً لذلك
أو أن أموت. وهنا تحدث الملك وقال إنه لم ير مطلقاً في حياته
شخصاً يجب شعبه بدرجة تجعله يجرؤ على المغامرة خارجاً من عالم
الكائنات الحية إلى عالم الأرواح.. وقال إن أول ما فكر فيه هو أن
يقتلنى. لكن كلماتى وشجاعتى جعلتاه يغير رأيه. لذلك أمر بإعداد
وليمة كبيرة دعى إليها كل رجاله النبلاء وزوجاتهم لتكريمى. وألقى
خطبة طويلة مدح فيها أخلاقى وشجاعتى وأنهى حديثه بأن منحنى
لقب "الرّعيم". لقد لقبنى بلقب "السلحف الرّعيم الذى لا يتوقف فى
منتصف الطريق..".

لم تعد الحيوانات تضرعك أو تتحدث. إذ أن شيئاً ما فى صوت
السلحف ووجهه جعلها - جميعاً - تنصت بانتباه شديد.

استمر السلحف يقول: "يمكننى أن أستمر طوال النهار أحكى لكم
عن الأوسمة والصفات العظيمة التى منحنى الملك إياها. لكنى سوف
أحتفظ بهذه القصة إلى يوم آخر. لابد أنكم جميعاً جياأ ولابد أن أهتم
بكم أولاً. وهنا نطلعت الحيوانات إلى بعضها بدهشة كبيرة.

فأضاف :

لَكِنْ قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ الْمَادِيَّةَ ، لَا بُدَّ أَنْ أَخْبِرَكُمْ أَنَّ الطَّعَامَ الَّذِي سَتَأْكُلُونَهُ يَأْتِي لَكُمْ مِنْ عِنْدِ أَخِي وَصَدِيقِي مَلِكِ الْأَرْوَاحِ ، لَكُمْ جَمِيعًا يَا شَعْبَ مَمْلَكَتِي الْمَحْبُوبِ .. أَقْصِدُ أَنْ أَقُولَ يَا شَعْبَ بِلَدِي الْعَزِيزِ ..

تَلَفَّتِ السَّلْحَفُ حَوْلَهُ ثُمَّ سَارَ بِبَطْنٍ - مِثْلَ زَعِيمٍ عَظِيمٍ - نَحْوَ كُوْخِهِ وَجَلَسَتْ الْحَيَوَانَاتُ فِي صَمْتٍ تَامٍ تُرَاقِبُ مَا سَيَحْدُثُ . وَسُرْعَانِ مَا عَادَ السَّلْحَفُ يَحْمِلُ الطَّبْلَةَ الْغَرِيبَةَ مُتَدَلِيَةً مِنْ حِزَامِهَا عَلَى كَتِفِهِ . وَلَمْ يَقُلْ كَلِمَةً أُخْرَى حِينَئِذَا وَصَلَ إِلَى مَقْعَدِهِ ، أَمَامَ الْجُمْهُورِ الْقَلِيلِ ، وَإِنَّمَا فَقَطِ طَرَقَ الطَّبْلَةَ بِالْعَصَا الصَّغِيرَةِ الْمُنْحَنِيَّةِ :

كَمْبُ بَوْتُو . كَمْبُ بَوْتُو .

اَجْبَا نَنُوفُو .

جَدَى جَدَه . جَدَى جَدَه .

أَنِيلَى نَانُو .

فَجَاءَتْ ظَهَرَتْ مَائِدَةُ الطَّعَامِ وَانْدَفَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ تَأْكُلُ بِطَرِيقَةٍ نَهْمَةٍ ، كَانَتْ كَمَا لَوْ أَنَّهَا جَوْعَى مُنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا ، سَقَطَ الْفَأَرْ مَبَاشَرَةً فِي الْحِيسَاءِ السَّاخِنِ وَاحْتَرَقَ جِلْدُهُ بِصُورَةٍ فَظِيْعَةٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ . وَقَفَزَ الْخُرُوفُ بِقَوَائِمِهِ الْأَرْبَعَةَ فِي دَاخِلِ السُّلْطَانِيَّةِ الضَّخْمَةِ الْمَلِيَّةِ بِالْخَضِرَاوَاتِ وَانْقَلَبَ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَطْبَاقِ بِسَبَبِ الْفَوْضَى ، بَلْ تَكَسَّرَ بَعْضُهَا بِمَا فِيهَا ، وَتَكَالَبَتِ الْحَيَوَانَاتُ تَتَخَاطَفُ مَا وَقَعَ مِنْهَا عَلَى الْأَرْضِ . لَكِنْ بَعْدَ قَلِيلٍ

من الوقت تحققت الحيوانات أن هناك الكثير من الطعام يكفي البلدة كلها إذا تقاسمتها الحيوانات بسلام. لذلك استقرت في أماكنها وأطعمت نفسها بلا عراك أو شجار أو زحام.

—٤—

في اليوم التالي كانت الحيوانات تقف بباب السُّلحف عند بزوغ الفجر. وسمع الضوضاء الضخمة الناتجة عن تجمهرها وكان سعيدًا. لكنه لم يكن ينوي أن يندفع. بل كان يفضل أن يفعل الأشياء على



مهمل، وفي وقتها المناسب. كان يعرف أن هذه الطريقة الوحيدة التي ستجعل الحيوانات تتقبل أهميته. الزعيم لا يتعجل. لذلك استلقى السلحف في سريره ينصت إلى صوت البلد الجائع وهو يبتسم بسُرور: نحن نريد السلحف.

إننا نريد السلحف.

فليخرج لنا السلحف.

وتأثر السلحف بهذا النداء. فقام من سريره. وغسل وجهه ويديه وخرج لكي يقابل شعبه:

نحن نريد الطبل.

إننا نريد الطبل.

أخرج لنا الطبل.

قال السلحف وهو يلوح بيده لكي تسكت الحيوانات فتسمعه:

- سوف ترون الطبله حالا. سوف ترون الطبله يا شعبي الحبيب. لكن في البداية لابد أن تسمعوا كيف وصلت الطبله إلى أيدينا. البعض منكم من لبى نداني بالأمس قد عرف الحكاية. لكنهم كانوا قلائل. أما اليوم. فإنني سعيد أن أرى أن لدينا البلد بأكمله. أريدكم جميعا أن تسمعوا القصة كما حدثت. وليست كما تُقال لكم من الآخرين.

وأخذ يحكي لهم قصة مغامرتة. وكيف أنه كاذ أن يضحى بنفسه من أجلهم. لقد استطاع الذين حضروا بالأمس وسمعوه أن يلاحظوا بعض الاختلافات - هنا وهناك - بين الحكايتين.

وتسببت الأعدادُ الضخمةُ التي حضرت اليوم إلى المائدة الثانية في فوضى شديدة. كَانَ النظامُ مُنْعَدِمًا تَمَامًا. واشتدَّ الصَّخَبُ والسُّلْبُ والنَّهَبُ مِنْ عَلَى المائدة. حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا مَعْرَكَةٌ. لَكِنْ مِثْلَمَا حَدَثَ فِي اليَوْمِ الأولِ، عَادَ النظامُ مرةً أُخْرَى حينَمَا تحَقَّقَ الضيُوفُ فِي النِّهَايَةِ أَنَّ المائدةَ كَبِيرَةٌ وَعَامِرَةٌ وَكَافِيَةٌ.

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَتْ الحَيَوَانَاتُ تَعُودُ إِلَى بَيْتِ السُّلْحَفِ، تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَرْجِعُ إِلَى مَنَازِلِهَا مَرَّةً أُخْرَى وَتُغْنَى وَتَمْدَحُ السُّلْحَفَ، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ: "الْمُنْقِذَ" وَالزَّعِيمَ الْعَظِيمَ، وَالبَطْلَ الَّذِي يَعْمَلُ لِمَصَالِحِ شَعْبِهِ. ثُمَّ حَدَثَ أَنَّهُ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَنَّ لَقْبَهُ أَحَدُ الْمُغْنِينَ بِالمُصَادَفَةِ بِلَقَبِ "الْمَلِكِ السُّلْحَفِ". وَبَعْدَ ذَلِكَ أَصْبَحَتْ الْأَغْنِيَةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي تَتَغَنَّى بِهَا

الحيواناتُ هِيَ :

نَحْنُ نُرِيدُ مَلِكًا.

السُّلْحَفُ مَلِكٌ.

نَحْنُ نُرِيدُ الْمَلِكَ.

مَلِكُنَا الْبَطْلُ السُّلْحَفُ مَلِكٌ.

نَحْنُ نُرِيدُ الْمَلِكَ.

وَتَمَّ تَحْدِيدُ يَوْمٍ لِنَتَصَيَّبَ السُّلْحَفَ مَلِكًا وَنَتَوَيَّجَهُ. وَطَلَبَتِ الحَيَوَانَاتُ الْمَلَابِسَ الْحَرِيرِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الْقَرْزِ وَطَلَبَتِ التَّاجَ مِنْ بِلَادِ السَّمَكِ. وَتَمَتَّ زَخْرَفَةُ بَيْتِ السُّلْحَفِ بِالْأَعْلَامِ وَالْبِيَارِقِ. وَظَلَّ الصُّفْدُ يُتَدَرَّبُ عَلَى النِّشِيدِ الَّذِي أَلْفَهُ مَعَ جَوْقَةِ الْبَلَدِ لَيْلًا وَنَهَارًا.



وفى يومِ التَّتْوِيجِ ، افتتحَ بواحدٍ وعشرينَ طلقةً مدفعيةً. وتَّجمعت
الحيواناتُ من أجلِ إفطارٍ ما قبلَ التَّتْوِيجِ. وردَّدَ الضُّفدُعُ وجَوَّقَتُهُ النَّشِيدَ
الجَدِيدَ : المَلِكُ العَظِيمُ المَبْجُلُ
السُّلْحَفُ مُلْكُ بِلادِنَا

وَقَرَّرَ السُّلْحَفُ أَنَّهُ - كَمَلِكٍ - يَجِبُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ أَشْيَاءٍ مُعِينَةٍ مِثْلِ
طَرِيقِ الطَّيْلَةِ مِثْلًا ، لِذَلِكَ قَامَ بِتَعْيِينِ الْفِيلِ طَبَّالًا مُلْكِيًّا.

وفى صباح يوم تتويج السلحف ملكًا تجمعت كل الحيوانات من أجل الإفطار، وأمسك الفيل بالطبلة المسحورة لأول مرة فى حياته. وقرعها قرعةً بالعصا خفيفةً. وهذه القرعة الخفيفة من يد الفيل كانت نتیجتُها مُفرعةٌ للغاية إذ أنها مزقت جلد الطبلة.

وخرجت من أفواه الحيوانات صرخةٌ مُفرعةٌ جعلت الملك السلحف يخرج إليها. وما كان يجب أن يظهر نفسه أمام شعبه حتى تَحينَ لحظةُ التتويج فى الظهيرة. لكنه اندفع مُهرولاً من مخدعه إلى الخارج.. وفى الحال رأى الكارثة التى حلت. وبعد أن تلقى الصدمة الأولى، استطاع أن يتحكم فى الموقف بأكمله. فأرسل اثنين من الحيوانات الصغيرة لكى يحضرا له عصارة نوع مُعين من الأشجار، وفى نفس الوقت ألقى خُطبةً قصيرةً على شعبه وطلب منه الالتزام بالهدوء. فقال لهم :



- هذه نكسة مؤقتة سوف تتغلب عليها فوراً.. يجب أن تستمر احتفالاتنا كما كان مخططاً لها أن تسير. يجب ألا يعوقنا شيء عن هدفنا وخططنا الطموحة.

عاد الحيوانان الصغيران ومعهما عصارة الشجرة المطلوبة. ووضعها السلحف بعناية كبيرة فوق الطبلية الممزقة ثم تركها في الشمس لكي تجف. وكانت الحيوانات تُراقب ما يحدث في وجوم وضمت فقال لها السلحف:

- تفاءلوا. كل شيء سيعود كما كان مرة أخرى. وسوف نأكل كما كنا نأكل ونبتسم كما كنا نبتسم.

جف الصمغ. وأصبحت الطبلية في شكل معقول. فأخذها السلحف بين يديه ونظر إلى جمهور الحيوانات. الصامت. الذي كتم أنفاسه.. وراح السلحف يذق على الطبلية بعناية فائقة فأخرجت الطبلية القليل من الأرز، والقليل من الحساء، وبضع قطع من اللحم وقطرات من عصير البلح. وأخرى من عصير المانجو. وهنا انفجرت الحيوانات في صياح مفاجئ وتنازعت الطعام القليل فيما بينها، ونشب شجار عنيف، فوقف السلحف ليلقي خطبة قصيرة مؤثرة وعد فيها الحيوانات أنه بمجرد الانتهاء من مراسم تنصيبه ملكاً، فإنه سوف يذهب على الفور إلى أصدقائه خصوصاً صديقه ملك الأرواح، ويحصل منه على طبلية أخرى وأضاف: والآن هيا نستمر في احتفالات التنصيب كما كان مخططاً.

— لكنَّ الجمهورَ كَانَ قد بدأ يَفْقَدُ صَبْرَهُ . فَقَالَ واحدٌ منهم :
— وهل نَسْتَمِرُّ بِمَعْدَةٍ خَاوِيَةٍ مِنَ الطَّعَامِ ؟ اذْهَبْ أَوَّلًا واحْضِرِ الطَّبْلَةَ .
وبَعْدَهَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَمِرَّ فِي الاحتفالاتِ .
فَرَدَّتْ أصَوَاتُ أُخْرَى قَائِلَةً : نَعَمْ الكَلَامُ . الطَّبْلَةُ أَوَّلًا ثُمَّ التَّنْصِيبُ
بَعْدَهَا . فَمَا فَائِدَةُ المَلِكِ بِدُونِ طَبْلَةٍ عِذَاءٍ ؟ !
وبَدَأَتِ الحَيَوَانَاتُ تُغَادِرُ بَيْتَ السِّلْحَفِ فِي مَجْمُوعَاتٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ
ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةِ حَيَوَانَاتٍ وَقَدْ أَطْرَقَ الجَمِيعُ فِي حُزْنٍ وَأَسَى .

— ٥ —

وبَدَأَ السِّلْحَفُ رِحْلَتَهُ فِي اليَوْمِ التَّالِيِ معَ أَوَّلِ صَيْحَةٍ لِلدِّيكِ مُتَجَهًّا
إِلَى أَرْضِ الأَرْوَاحِ . وَعِنْدَ الظَّهِيرَةِ كَانَ واقِفًا عِنْدَ جَذْعِ النَّخْلَةِ ذَاتِ الأَلْفِ
وَمَاتَتِي بِلَحَةٍ . وَسَأَلَهَا السِّلْحَفُ وَهُوَ يَلْهَثُ :

— أَيْتُهَا النَّخْلَةُ الطَّيْبَةُ . هلْ لَا يَزَالُ لَدَيْكَ بَلَحٌ نَاضِجٌ ؟ !

لَمْ تَرُدِ النَّخْلَةُ عَلَيْهِ . فَأَكْمَلَ هُوَ : أَعْتَقَدُ أَنَّ لَدَيْكَ بَعْضُ البَلَحِ عَلَى
أَيَّةِ حَالٍ . لَا بُدَّ أَنْ أَصْعَدَ وَأَرَى بِنَفْسِي . وَبَدَأَ يَصْعَدُ النَّخْلَةَ وَبِمَجْرَدِ أَنْ
أَصْبَحَ عَلَى قِمَةِ النَّخْلَةِ . سَارَعَ عَلَى الفورِ فَقَطَفَ بِلَحَةً وَجَعَلَهَا تَسْقُطُ
عَلَى الأَرْضِ ثُمَّ هَبَطَ هُوَ أَيْضًا إِلَى الأَرْضِ . وَسَقَطَتِ البِلَحَةُ عَلَى مَسَافَةٍ
بَعِيدَةٍ جِدًّا مِنَ الجُّحْرِ الَّذِي سَقَطَتْ فِيهِ البِلَحَةُ السَّابِقَةُ . فَجَاءَ السِّلْحَفُ
وَأَخَذَ يُدْحِرُجُهَا بِرَقَّةٍ نَحْوِ الجُّحْرِ ثُمَّ دَفَعَهَا بِالْداخِلِ . وَانْحَنَى دَاخِلَ

الجُحر. غيرَ أنَّ البلحةَ توقفت في مكانٍ يستطيعُ أن يستعيدها منه مرةً أخرى بسهولة. فصبَّ عليها اللعناتِ ثمَّ دَفَعَهَا إلى أسفل وهبَطَ درجةً واحدةً ومع ذلكَ ظلت - لا تزال - قَريبة بحيثُ يستطيعُ الإمساكُ بها. فَشْتَمَهَا بأنها بلحةٌ عقيمةٌ بلا فائدة. وظلَّ هكذا يَدْفَعُهَا إلى أسفل حيثُ أرضُ الأرواحِ ويلعنُهَا. وحينما وصلَ إلى أرضِ الأرواحِ كان الصَّبِيُّ الصَّغير واقفاً ومعه مقشَّته الطويلةُ ينظرُ إلى البلحةِ التي سَقَطَتْ مِنَ الفتحةِ أعلاه. وما أن رآه الصَّبِيُّ حتَّى هم يَجْرِي نحو الأكواخ. إلا أنَّ السِّلْحَفَ نادى عليه بصوتٍ رقيقٍ جدًّا :

- لا تَهْرَبْ مِنِّي يَا صَدِيقِي الصَّغِيرَ العَزِيزَ.

تَوَقَّفَ الصَّبِيُّ. والتَفَتَ ورائهُ وَحَمَلَقَ في السِّلْحَفَ مُتَشَكِّكًا. فقال له السِّلْحَفُ :

- لا تخف. مني يا صَدِيقِي كُنْتُ فقط أَمْزَحُ مَعَكَ في المرة السابقة.. إنَّني دائماً أَسْتَمْتَعُ بِالْمَزَاحِ مع الأطفالِ الصَّغَارِ لَكُنْني لا أَقْصِدُ إيذاءهم. إنَّني في الحقيقةُ أُحِبُّ الأطفالَ. كما ستَعْرِفُ ذَلِكَ حينما تَقْتَرِبُ مِنِّي وتَعْرِفُنِي أَكْثَرَ.. أَتَمْنِي أن يَكُونَ الوَالِدَانِ في الكُوخِ لأنَّني جِئْتُ خَصِيصًا لَكِي أَشْكُرُهُمَا عَلَى الطَّبْلَةِ الصَّغِيرَةِ العَجِيبَةِ الَّتِي أَهْدَيَانِي إِيَّاهَا. إنَّ شَعْبِي سَعَدَ كَثِيرًا بِهَا لدرجة أنهم نَصَّبُونِي عَلَيْهِم مَلَكًا. ولذلك عَدْتُ لَكِي أَشْكُرُ أَبَاكَ. فهل هو موجودٌ؟

فرد الصبي : "نعم ياسيدى. إنه فى الكوخ. هل أذهب فأناديه؟"
قال السلحف : "لا تقلق بشأن ذلك. سوف نسير معاً إليه لكن قبل
أن أنسى. أحضرت لك هدية صغيرة. إننى أعرف أنك تحب البلح لذا
أحضرت لك ألذ بلحة فى العالم بأسره. لكنها سقطت من يدى حينما
كنت أهبط إلى هنا. فهل رأيتهما؟

رد الصبي : سوف تجدها إن نظرت وراءك مباشرة.
قال السلحف : بالطبع. هى موجودة.. إننى كما تعرف أصابنى الكبر
ولم تعد عيني ترى كما كنت أرى بها فى شبابى.. خذها منى.. تفضل..
إنها هدية صغيرة.

وتردد الصبي فى البداية. لكن السلحف بأسلوبه العذب أقنعه بأن
يقبل البلحة. ثم قال له :

— هيا أيها الغلام.. كُلها.. وأخبرنى إذا لم تكن هى ألذ بلحة تذوقتها
فى حياتك.

لمعت عينا الصبي وهو يمضغ البلحة. كان يتلذذ بها كثيراً لدرجة أنه
لم يلاحظ التغير الذى طرأ على وجه السلحف.

همس السلحف فى نفسه : غلام غبى. متى سوف تتعلم؟ ثم رفع
صوته صارخاً : هات بلحتى من فضلك. وراح يحملق بغضب فى الصبي
ثم قبض على ساقه وصاح الصبي فى خوف ورعب وهو يحاول أن
يتخلص من قبضة السلحف الحديدية.. وكان هذا يصرخ فيه قائلاً :



- لا. لا تحاول هذه المرة سوف آخذك معي إلى بلادى بلا شك.
 وكما حدث من قبل، حينما سمع الكبارُ صراخَ الصبى اندفعوا
 خارجين من الأكواخ. قَالَ والدُ الصبى:
 الآن فهمتُ، ها هو صديقنا القديم السلحفُ يداعبُ الصبى ولدنا.
 لكن السلحف رد عليه بصَلَفٍ: إننى لا أداعبه يا محترم.
 فسأله الأبُ: "فما الموضوعُ إذن؟"
 قال السلحفُ: "رغم تحذيرى لك، إلا أنك لم - تعلم - ولدك أن
 يحترم ملكية الآخرين، لقد سَطَا ابنك على بلحتى. هذا هو الموضوع.
 وقد قلتُ له لتوى أن شيئاً لن يمنعنى - أكرر مرةً أخرى لن يمنعنى أى
 شىء من أن أجره معي من أذنيه إلى بلادى.
 قال الأبُ: "اهدأ من فضلك يا صديقى الطيب. إننى متأكد أننا
 يمكن أن نسوئ الأمر بسهولة ذور، تعقيدات. ما رأيك فى أن تحصل
 على طيلةٍ أخرى؟"
 تظاهر السلحفُ أنه يفكر فى هذا الحل قليلاً فألقى برأسه إلى الخلف
 رافعاً وجهه إلى أعلى ثم بعد فترةٍ طويلةٍ أعلن قائلاً:
 - موافق.. لكنى أريد أن يفهم الجميع أن هذه المرة هى آخر مرةٍ
 يمكن أن آخذ طيلةً بديلاً عن بلحتى.
 قال الأبُ: إننا نفهم ذلك جيداً ونذكره عن يقين.

وهنا قَالَ السِّلْحَفُ بكبرياءٍ وصُلفٍ: هاتِ الطَبْلَةَ إِذْنُ.

قال الأبُّ: تعالِ من هَذَا الطَّرِيقِ يا سِيدِي.

وأخَذَ السِّلْحَفُ إلى مُؤَخَّرَةِ أَحَدِ الْأَكْوَاخِ. كَانَ الْمَكَانُ مِثْلَمَا تُخِيلُ
السِّلْحَفُ سَلَفًا. كَانَ مُكَدَّسًا بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الطَّبْلِ وَمِنْ جَمِيعِ الْأَحْجَامِ.
مُعْلَقَةً فِي الْأَوْتَادِ الْخَشَبِيَّةِ الْمُثَبَّتَةِ فِي الْحَوَائِطِ الطِينِيَّةِ. وَقَالَ الأبُّ وَهُوَ
يُشِيرُ بِيَدِهِ نَحْوَ الطَّبْلِ:

— إِنَّ الْاِخْتِيَارَ لَكَ يَا سِيدِي.

وغمَرَتِ السَّعَادَةُ قَلْبَ السِّلْحَفِ مِمَّا تَسِيرُ بِهِ الْأُمُورُ حَتَّى الْآنَ. فِي
الْمَرَّةِ الْمَاضِيَةِ أَعْطَاهُ الْأَبُّ طَبْلَةً صَغِيرَةً ذَاتَ جِلْدٍ رَقِيقٍ وَقَدْ أَطَاخَ بِهَا
الْفِيلُ. أَمَّا الْآنَ فَإِنْ لَدَيْهِ الْفُرْصَةُ فِي اخْتِيَارِ طَبْلَةٍ ثَلَاثُمُ مَرَكَزِهِ كَمَلِكٍ.
وَمَضَى يَسِيرُ وَهُوَ يَتَفَقَّدُ صَفًا طَوِيلًا مِنَ الطَّبْلِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى نَهَائِيَّتِهِ.
يَتَفَحَّصُ كُلَّ طَبْلَةٍ عَلَى حِدَةٍ. حَتَّى أَشَارَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى أَضْخَمِ طَبْلَةٍ
مَوْجُودَةٍ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. فَقَالَ الْأَبُّ:

رائع.. هَذِهِ الطَبْلَةُ سَتَكُونُ لَكَ. فليَحْضُرْهَا
أَحَدُكُمْ يَا رَجَالِي إِلَى صَدِيقِي السِّلْحَفِ
الطَّيِّبِ.



وهكذا أَخَذَ السِّلْحَفُ الطَبْلَةَ مِنْ أَحَدِ
رِجَالِ الْأَرْوَاحِ وَعَلَقَهَا عَلَى كَتِفِهِ. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ
وَالْتَقَطَ عَصًا يَطْرُقُ بِهَا. وَقَالَ وَدَاعًا وَبَدَأَ رَحَلَتَهُ
عَائِدًا إِلَى بِلَادِهِ.



كَانَ السِّلْحَفُ سَعِيدًا مَسْرُورًا بِنَفْسِهِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ ظَلَّ يُصْفَرُ وَيُغْنَى
وَهُوَ يَرْتَقِي دَرَجَاتِ السَّلَامِ السَّبْعَ عَائِدًا مِنَ الْعَالَمِ السُّفْلَى . وَحِينَمَا
خَرَجَ مِنَ الْجَحْرِ ، عِنْدَ جَذْعِ النَّخْلَةِ ، تَوَقَّفَ قَلِيلًا لِكَيْ يَسْتَرِيحَ مِنْ
عَنَاءِ الصُّعُودِ وَيَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ ، وَحِينَئِذٍ شَعَرَ بِالْجُوعِ . وَأَحْسَّ بِالْحَاجَةِ
الشَّدِيدَةِ إِلَى الطَّعَامِ . لَكِنَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَانَ يُرِيدُ الْإِسْرَاعَ إِلَى بِلَادِهِ
لِكَيْ يَنْهَى مَرَّاسِمَ تَنْصِيبِهِ مَلَكًا عَلَى الْحَيَوَانَاتِ . وَنَظَرَ عَالِيًا إِلَى السَّمَاءِ
لِكَيْ يَعْرِفَ الْوَقْتَ ، فَاكْتَشَفَ - لِدَهْشَتِهِ - أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ لَا تَزَالُ
فِي مُنْتَصَفِ السَّمَاءِ تَمَامًا مِثْلَمَا كَانَتْ وَقْتَمَا دَخَلَ الْجَحْرُ . فَهَلْ كَانَ
الْوَقْتُ هُوَ الْيَوْمُ أَمْ أَمْسَ أَمْ الْيَوْمُ التَّالِيُ ؟ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَدِّدَ ذَلِكَ .
لَكِنْ أَيْهَا كَانَ الْيَوْمُ . إِنَّهُ الْآنَ وَغَتِ الظُّهَيْرَةُ . وَبَنَاءَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ
هُنَاكَ مُتَسِّعٌ مِنَ الْوَقْتِ لِكَيْ يَأْكُلَ . وَبَعْدَهَا يَصِلُ إِلَى بِلَادِهِ لِيَجْلِسَ عَلَى
عَرْشِهَا . أَنْزَلَ الطَّبْلَةَ مِنْ عَلَى كَتِفِهِ لِيَسْتَرِيحَ . ثُمَّ رَفَعَهَا مَرَّةً أُخْرَى .
وَطَرَقَ عَلَيْهَا بِالْعَصَا بَرْقَةً مُتَنَاهِيَةً . لَكِنْ مَا حَدَثَ لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ .
بَدَلًا مِنْ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الطَّبْلَةِ طَعَامٌ لَذِيذٌ ، خَرَجَتْ مِنْهَا أَصْوَاتٌ غَرِيبَةٌ
مَرَعِبَةٌ - صَرَخَ يَصُمُّ الْأَذَانُ يَتَّبِعُهُ نَشِيدٌ قَصِيرٌ يَصْدُرُ عَنْ أَصْوَاتِ غَلِيظَةٍ
مُخِيفَةٍ :

بيالا وبيالو مبلا

أوفو أوفيو

بيالا وبيالو لمبلا

أوفرو أوفيو

مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ أَكْثَرَ رُعبًا وَغَرَابَةً. خَرَجْتَ أَشْبَاحَ مُلْتَمَّةٍ تَحْمِلُ
العديدَ من السَّيَاطِ وَبَدَأَتْ تَتَقَافَزُ وَتَتَدَفَّعُ هُنَا وَهَنَاكَ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَتَصِيبُ
أَيَّ شَيْءٍ فِي طَرِيقِهَا. ثُمَّ تَبِعَتْهَا أَسْرَابٌ مِنَ النُّحْلِ تَلْسَعُ وَتَلْدَغُ كُلَّ جُزْءٍ
مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ فَاقِدَ الْوَعْيَ تَمَامًا وَظَلَّ هَكَذَا لَوْقَتٍ
طَوِيلٍ وَحِينَئِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى كَانَ قَدْ حُلَّ الظُّلَامُ وَعَمَّ الْمَكَانَ.
وَأَحْسَنَ بَأَن جَسَدَهُ مَلَىءَ بِالرُّضُوضِ وَالْجُرُوحِ وَالْأَوْرَامِ إِلَى حَدٍّ أَنْ قَوَّقَعْتَهُ
لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْتَوِيَهُ بِدَاخِلِهَا. وَأَخَذَ يَتَسَاءَلُ: مَاذَا حَدَثَ؟ وَأَيْنَ أَنَا؟!
وَرَوِيْدًا رَوِيْدًا بَدَأَتْ تَعُودُ إِلَيْهِ ذَاكِرَتُهُ وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِخَوْفٍ عَظِيمٍ.
أَيْنَ الطَّبِلَةُ؟ وَأَيْنَ كَانَتْ الْأَرْوَاحُ الْمُلْتَمَّةُ. هَلْ هِيَ بَانْتِظَارِهِ فِي الظُّلَامِ إِلَى
أَنْ يَسْتَيْقِظَ؟ رُبَّمَا كَانَتْ نَائِمَةً. وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا بَدَّ أَنْ يَتَسَلَّلَ بَعِيدًا
قَبْلَ أَنْ تَسْتَيْقِظَ. لَكِنْ مُحَاوَلَتُهُ لَأَنْ يَتَحَرَّكَ أَضَافَتْ إِلَيْهِ آلَمًا جَدِيدًا
وَشَدِيدًا جَعَلَتْهُ يَفْقَدُ وَعْيَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَلَمْ يَفْقُ حَتَّى ظَهَرَ الْيَوْمُ التَّالِي.
وَحِينَئِذَا أَفَاقَ، تَأَمَّلَ الْمَوْقِفَ بَعَيْنَيْهِ فِي هَدْوٍ. كَانَتْ الطَّبِلَةُ الشَّرِيرَةُ قَابِعَةً
فِي بَرَاءَةٍ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ الَّذِي أَلْقَاهَا فِيهِ، وَمِنْ خَوْلِهِ تَنَاسَرَتْ أَكْوَامٌ مِنَ
السَّيَاطِ الْمَمْرُقَةِ. أَمَا كَرَّ شَيْءٌ آخَرَ فَكَانَ طَبِيعِيًّا. النُّخْلَةُ ذَاتُ الْأَلْفِ



ومائتي بلحة، وبعضُ الأشجارِ الأخرى الجرداء والزروع الجافة والسماء الصافية والشمسُ المحرقة.

وحينما شَعر السلحفُ أنه لا يوجدُ أيُّ خطرٍ مباشرٍ مِنْ حَوْلِهِ، بَسَطَ أطرافَهُ ووجدَ أنه لن يستطيعَ سوى الزحفِ فقط حَتَّى يَصِلَ إلى بلادهِ إذْ أنَّ كلَّ جسدهِ ملئٌ بالجروحِ والآلامِ. لكنه فكر قليلاً فرأى أنه لا يوجدُ سببٌ يَدْعُوهُ إلى الإسراعِ الآن. فلديه من الوقتِ أكثر مما هو بحاجةٍ إليه، لذلك عَادَ لينامَ يومين آخرين، لكي يُفكرَ بهدوءٍ ويُخططَ للمستقبلِ.

كانت عودةُ السلحفِ إلى بلادِ الحيواناتِ مع طَبْلته الأولى في جُنْحِ الظَّلامِ، لقد خططَ لذلك حَتَّى لا يراه أحدٌ أثناءَ عودته. لكنه اختارَ عودته الآن مع طَبْلته الثانيةِ مُنتصفِ النهارِ، وقتَ الظهيرةِ وشاهدته العديدُ من الحيواناتِ وهو يَسِيرُ ببطءٍ مَقْصودٍ نحوَ منزلهِ وهو يَحْتَضِنُ الطَبلةَ الكبيرةَ.

وخرجتُ بعضُ هذه الحيواناتِ تَسْتَقْبِلُهُ وتُحييه في فرحٍ وسرورٍ وتَصطحبُهُ إلى المنزلِ في حينِ اندفعَ الآخرونَ إلى أَصْدِقائِهِمْ يَزِفُونَ إِلَيْهِمْ بُشْرَى عودته. وَحِينَ حُلَّ وقتُ المساءِ كان منزلُ السلحفِ قد امتلأَ مرةً أخرى بالحيواناتِ والضوضاءِ كالمُعْتَادِ. وَحَالاً بَدَأَ غِنَاءُ الحيواناتِ مرةً أخرى:

نُرِيدُ السلحفَ.

يَعِيشُ السُّلْحَفُ الْمَلِكُ.

الْمَلِكُ السُّلْحَفُ.

يَحْيَا السُّلْحَفُ. يَعِيشُ الْمَلِكُ.

وَكَانَ السُّلْحَفُ قَدْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ مُبَكِّرًا، فَاسْتَيْقَظَ الْآنَ مَرَّةً أُخْرَى
وَخَرَجَ يَتَحَدَّثُ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ، وَعِنْدَمَا ظَهَرَ مِنْ خِلَالِ بَابِ كُوْخِهِ
أَصْدَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ صِيحَةً هَتَافٍ صَخْمَةٍ تَصُمُّ الْأَذَانِ تَحِيَّةً لَهُ. وَرَفَعَ
السُّلْحَفُ يَدَهُ فَصَمَتَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى الْفَوْرِ. وَبَدَأَ يَتَحَدَّثُ فِي صَوْتٍ
مُرْهَقٍ. فَقَالَ:

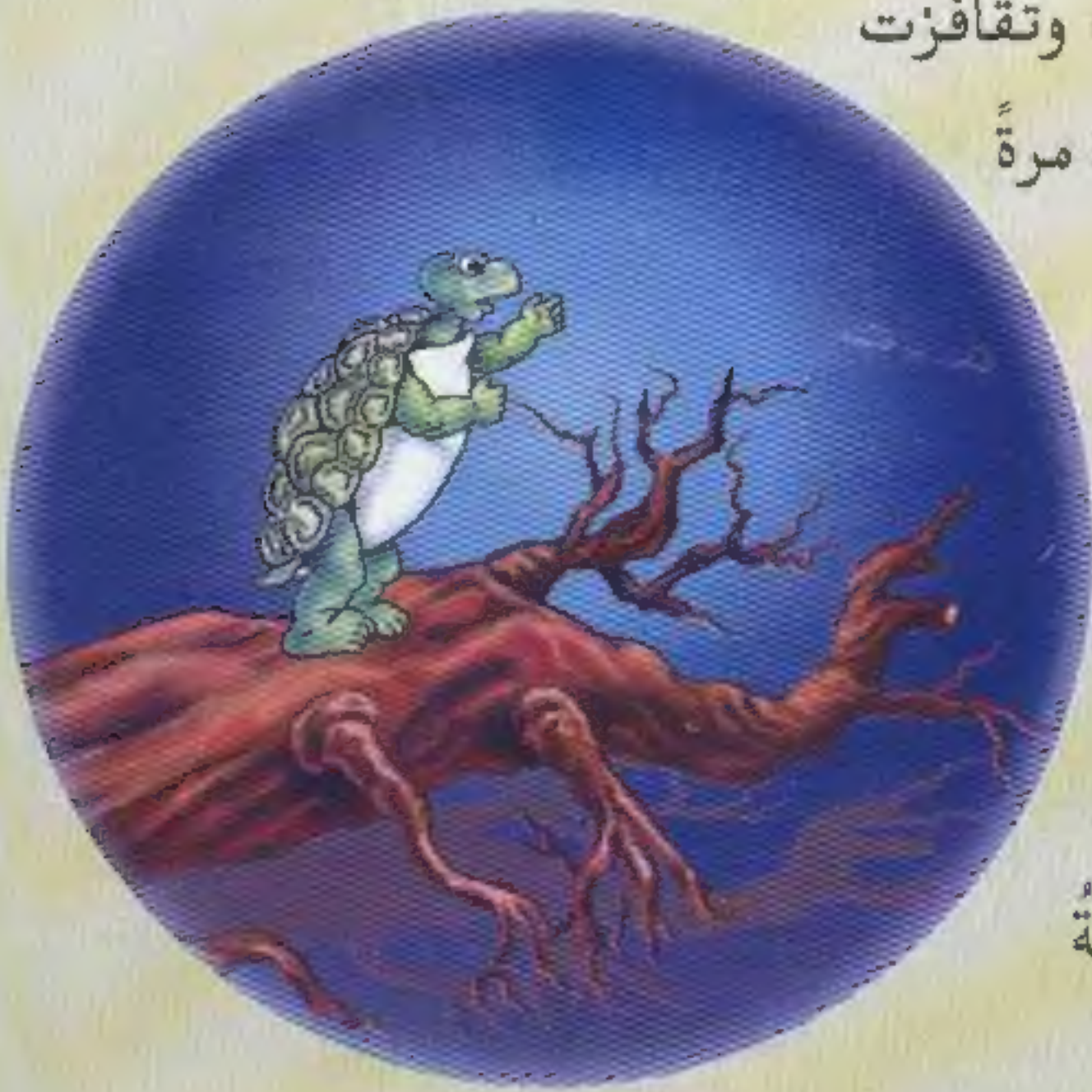
يَا شَعْبِي الطَّيِّبُ. لَقَدْ قَمْتُ بِالرَّحْلَةِ الَّتِي وَعَدْتُكُمْ بِهَا، وَقَدْ أَحْضَرْتُ
لَكُمْ طَبْلَةً هِيَ مَلَكَةُ الطُّبُولِ.

وَصَفَقَتِ الْحَيَوَانَاتُ وَهَلَّلَتِ وَتَقَافَزَتِ

فَرَحًا. لَكِنِ السُّلْحَفُ رَفَعَ يَدَهُ مَرَّةً
أُخْرَى لِيَقُولَ:

لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي أَنْ أُسْتَرِيحَ
الْلَّيْلَةَ وَقَرَّرْتُ أَنْ أُقَدِّمَ لَكُمْ
الطَّبْلَةَ فِي الصَّبَاحِ..

ارْتَفَعَ الصِّيَاحُ: نُرِيدُ الطَّبْلَةَ
الْآنَ.. نَحْنُ نُرِيدُ الطَّبْلَةَ.. مَلَكَةُ
الطُّبُولِ.



أضاف السلحفُ: أرى أنكم فى لهفة لرؤية الطبلّة.. ولا أستطيع أن ألومكم على أية حال أنتم لم تتذوّقوا أى طعامٍ لعدة أيام حتّى الآن. لذلك فإننى سأقدم لكم الطبلّة حالاً.

وعلى الفور صاحت الحيواناتُ مُهللةً فى حماسٍ فرّغ يده لتصمت فيُكمل:

- سأكونُ خائناً للواجب إذا لم أحدثكم عن المصاعب التى واجهتها للحصول على هذه الطبلّة، البعض منكم تساءل عن الجروح التى تملأ جسدَى كلّهُ. حسناً يا شعبى الطيب، قد تذكرون أنّنى أخبرتكم أنّ السفر إلى بلاد الأرواح لم يكن يسيراً أو هيئناً. فعلى طول الطريق يُوجد العديد من الأشباح والعفاريت المرعبة. وواجهتها جميعاً وتلقيتُ برضاً وشجاعة كل الصعوبات والعقوبات التى وقّعوها علىّ. ولن أقول أكثر من ذلك فى الوقت الراهن لأننى مُرهقٌ ويجب أن أستريح قليلاً.. لكن يمكنكم أن تواصلوا احتفالاتكم وتحصلوا على وجبة العشاء.. إننى أعرف أنكم تستطيعون ترتيب مائدة العشاء وبشكلٍ مُهذبٍ. بالنظر إلى الحادثِ المؤسف الذى حدث للطلبة السابقة إننى أقترح أن تُنصبوا طَبَّالاً جديداً من بينكم يكون له لمسةٌ خفيفةٌ وأرقٌ من فىلنا المحبوب.

ضحكت الحيواناتُ، وتركها السلحفُ تضحك ودخل كوخه وعاد مرةً أخرى بالطبلّة الجديدة الضخمة. فارتفعت صيحات الفرح بينها وقال لها السلحفُ وهو ينسحبُ مُلوّحاً:



— استمتعوا بوقتكم.

ثُمَّ أَحْكَمَ إِغْلَاقَ بَابِ كُوْحِهِ بِالْمَرْلَاجِ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ.

اقتُرعت الحيواناتُ واختارتِ القردَ لمنصبِ ”طَبَّالِ الدَّوْلَةِ الجَدِيدِ“
لكنها لم تَرُدْ أَنْ يَشْعَرَ الْفِيلُ بِالْإِهَانَةِ، فَمَنْحُوهُ مَنَصِبَ ”عَازِفِ بُوْقِ
الدَّوْلَةِ“ وَلَقَّبَ ”طَبَّالِ مُتَقَاعِدِ“ وَكَانَ الْجَمِيعُ قَانِعًا بِهَذَا وَرَاضِيًا.
وَتَقَدَّمَ الْقَرْدُ إِلَى الْأَمَامِ، وَرَفَعَ الطَّبْلَةَ إِلَى كَتْفِهِ. وَهَتَفَتْ لَهُ جَمَاهِيرُ

الحيوانات هتاف التحية والتشجيع ، وانحنى يرد لها التحية ، ثم حمل مفرعة الطبل بترف وكبرياء شديد وبدأ يقرع الطبل.

حينما أغلق السلحف بابَه بالزلاج لم يذهب إلى مخدعه كي ينام كما ادعى فيما مضى. بل أخذ زوجته في عجلة شديدة خارج منزله من خلال باب خلفي ، ودخل إلى أعماق غابة كثيفة خلف حائط منزله. كانت زوجته في غابة الدهشة لكن السلحف جرّها بقوة معه قائلاً لها:

ليس هناك وقت كي أشرح لك الأمر ، كل شيء سيتضح لك فيما بعد.

وهكذا دخلاً إلى أعماق الغابة أكثر وأكثر حتى وصلا إلى صخرة ضخمة في قاع أحد الأنهار الجافة واختفيا تحتها.

أما بالنسبة للحيوانات فإن ما شهدته في تلك الليلة لم نعرفه بالكامل ، لكن يكفي القول أنها ظلت تسحب نفسها من أمام منزل السلحف وهي تصرخ وتنزف الدماء وتناثر في كل مكان وكل اتجاه من العالم ولم تتوقف عن الجري والصياح طلباً للنجدة.